

**تأثير العصبية القبلية على الحياة السياسية بالأندلس حتى نهاية عصر
الإمارة (92- 316هـ / 711 - 929م)**

***The impact of tribal fanaticism on the political life of Andalusia
until the end of the Emirate era (92 - 316 AH / 711 - 929 AD)***

د. إسلام إسماعيل عبد الفتاح أبوزيد: دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية الآداب –
جامعة الإسكندرية، مصر

Dr. Islam Ismail Abdel Fattah Abu Zeid: Ph.D. in Islamic History and
Civilization, Faculty of Arts – Alexandria University, Egypt

الملخص:

تهدف الدراسة للتعرف على تأثير الصراع القيسي اليمني علي الحياة السياسية بالأندلس حتى نهاية عصر الإمارة في صور متعددة منها علي سبيل المثال في عصر الولاة، معركة شقنדה 130هـ/ 747م، وقد بلغ الصراع القيسي اليمني أعلى درجاته دموية وعنفاً فيها، وقد حدثت معارك وفتن كثيرة بين الفريقين في عصر الإمارة، منها ثورة العلاء بن مغيث اليحصبي سنة 143هـ/ 763م. وتتمثل مشكلة الدراسة في إغفال المصادر دور العصبية القبلية بين القيسية واليمانية في الحياة السياسية بالأندلس حتى نهاية عصر الإمارة، ونخلص لعدة نتائج منها أن العصبية بين القيسية واليمانية هي المسيطرة علي الأوضاع السياسية، وفي النهاية نستنتج أن استقرار الحياة السياسية لم يتحقق إلا بعد مصاهرة الجنس العربي مع أهل البلاد الأصليين حيث أنصهر الجنس العربي داخل المجتمع الأندلسي.

الكلمات المفتاحية: القبائل، الفتوحات، العصبية، الولاة، الإمارة، الثورة

Abstract

The study aims to identify the impact of the Yemeni Qaisi conflict on the political life in Andalusia until the end of the era of the emirate in various forms, for example, in the era of rulers, the Battle of Shaqanda 130 AH / 747 AD. The two groups in the era of the emirate, including the revolution of Al-Ala bin Mughaith Al-Yahsibi in 143 AH / 763 AD. The problem of the study is that the sources neglect the role of tribal nervousness between Qaisi and Yamani in the political life of Andalusia until the end of the era of the emirate, and we conclude with several results; The nervousness between Al-Qaysiyya and Al-Yamani is dominating the political situation, and in the end we conclude that the stability of political life was not achieved until after the intermarriage of the Arab race with the indigenous people of the country, where the Arab race was fused within the Andalusian society.

Keywords: tribes, conquests, asabiyya, governors, emirate, revolution

المقدمة:

يعد الصراع بين اليمانية والقيسية من أشد الأزمات التي صادفت الأندلس بعد دخول المسلمين الفاتحين إليها لما تحمله من تأثير سلبي علي إستقرار الأوضاع وخاصة السياسية منها،

فقد شغلت كل الولاة وعمالهم في الأندلس، بحثاً عن إيجاد الحل المناسب لفك النزعات العصبية التي أدت في النهاية إلي إضعاف شوكتهم وفسح المجال لأعدائهم في استرجاع الأراضي التي فتحها المسلمين، كما أثر ذلك سلباً علي اهتمامهم بالجهاد لنشر الإسلام.

وفي هذا السياق تهدف الدراسة تسلط الضوء على تأثير الصراع القيسي اليماني على الحياة السياسية بالأندلس حتى نهاية عصر الإمارة، وستوفر الدراسة للمتخصصين في مجال القبائل العربية بالأندلس، والمهتمين به ملمحاً جديداً من ملامح الصراع بين اليمانية والقيسية.

وقد حددت الفترة حتى نهاية عصر الإمارة الأموية (92- 316هـ / 711- 929م) كمجال زمني للدراسة؛ ورغم أهمية موضوع العصبية القبلية في الصراع بين اليمانية والقيسية، فإن الدراسات الحديثة المتخصصة قليلة في هذا الجانب ولم تتناول تأثير العصبية على الاستقرار السياسي في الأندلس حتى نهاية عصر الإمارة، ومن هنا تأتي أهمية الدراسة.

وارتكزت في الدراسة على المنهجين الوصفي، والتحليلي. وقسمتها إلى تمهيد العصبية القبلية القيسية واليمانية، دخول القبائل العربية الأندلس، ومبحثين؛ فعرضت في المبحث الأول: تأثير الصراع القيسي اليماني في الحياة السياسية بالأندلس في عصر الولاة (92هـ - 138هـ / 712م - 755م)، وركزت اهتمامي في المبحث الثاني، تأثير الصراع القيسي اليماني علي الحياة السياسية بالأندلس في عصر الإمارة (138- 316هـ = 756- 929م)، لإتمام الفائدة ختمت الدراسة بذكر أهم النتائج التي توصلت إليها.

التمهيد (العصبية القبلية بين القيسية واليمانية):

تعني العصبية إجمالاً الحث على نصره الأولياء والأقرباء، ظالمون كانوا أو مظلومين، كما تعني الدّعوة إلى المدافعة، والمحاماة، والمطالبة في سبيل الأقارب والأولياء (بوزياني الدراجي، 2014م: 43).

وهي في اللغة مشتقة من العصب، وهو: الطّيّ والشّد، وعصب الشيء يعصبه عصباً، طواه ولواه، وقيل: شدة، والتعصب: المحاماة والمدافعة، وفي الاصطلاح والعصبية أن يدعو الرجل إلى نصره عصبته والتألب معهم، على من يناوئهم، ظالمون كانوا أو مظلومين». (الجريسي، 2006م:

القيسية هي مجموعة كبيرة جداً من القبائل العربية يقال لهم مضر السوداء، وينتسبون لقيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وقيس هو شقيق إلياس بن مضر الذي تتحدر منه قبائل خندف، اشتهرت قبائل قيس عيلان القيسية بنزاعها مع القبائل اليمانية طيلة التاريخ الإسلامي، وهي تضم عدة أفرع أبرزها هوازن وغطفان وبنو سليم التي انحدرت منها شعوب وقبائل كثيرة (ابن خلدون، 2004م: 104)

دخول القبائل العربية الأندلس:

توافد العرب على الأندلس على شكل قبائل متفرقة فلم يدخلوا بصورة موحدة تحت راية إسلامية كما حصل في باقي الفتوحات، وتشير المصادر التاريخية إلى أن جيش موسى بن نصير ضم عدداً كبيراً من القبائل المتفرقة المنفصلة، حتى أن كل قبيلة كانت تلتف برايتها وشعاراتها، فيذكر صاحب الرسالة الشريفة نقلاً عن محمد بن مزين أنه رأى ((سفرًا صغيراً من تأليف محمد بن موسى الرازي سماه بكتاب الرايات وذكر فيه دخول الأمير موسى بن نصير وكم راية دخلت الأندلس معه من قريش والعرب فعدها نيفاً وعشرين راية) (ابن القوطية، ب. ت: 203)، وأكد أنه باجتماع هذه الرايات في موضع المسجد الذي اتخذته موسى بن نصير سمي (مسجد الرايات) في الجزيرة الخضراء (عبد الكريم التواتي، 1967: 65).

وبقي التنظيم القبلي هو السائد في تواجد العرب المسلمين على أرض الأندلس، وظلت كل مجموعة من العرب نزلت بناحية معينة محتفظة بكيانها القبلي رغم الاختلاط والتزاوج مع سكان البلاد، وفضلاً عن ذلك دخلت القبائل العربية الأندلس وأذهان أبنائها لم تزل مشحونة ومملوءة بصور نزاعات الماضي وثارَات القبيلة فجعلت القبائل العربية الأندلس مسرحاً لتصفية الحسابات فيما بينهما وإذكاء ما قد خف وخبأ العنصرية والقبلية (المقري، 1988: 174).

نقل العرب بذلك خلافاتهم من مواطنهم إلى الأندلس روحاً وفعلاً فانعكس ذلك في علاقاتهم مع بعضهم البعض، وشهد عصر الولاة وما تبعه نزاعات عربية ذات صبغة قبلية واضحة خاصة ما كان بين القبائل المضرية واليمانية، وحتى لو لم يكن جوهر بعض هذه الصراعات قبلية فإن محركها وزعمائها كانوا يبعثونها مضرية ويمنية شحذاً لقواتهم واستنفاراً لها وإذكاءً لمشاعر أتباعهم القبلية ومن أجل كسب المزيد من المؤيدين لهم في نزاعاتهم التي كان يفعلها عدة عوامل، وكان بعضها يستمر لعدة سنوات ويخلف خسائر كثيرة في الأرواح ولأسباب تافهة، لم تكن سوى الشرارة البسيطة التي تتدلح بها نزاعات وخصومات كامنة في نفوس هذه القبائل وأبنائها وزعمائها (ابن عذارى، 1956).

لم يقتصر النزاع العربي على الجانب القبلي إنما تعداه ليظهر من أجل السيطرة على الأرض والاستئثار بها وبخيراتهما والذي كان انعكاساً لخاصية الاستقرار الإسلامي فالعرب البلديون وأغلبهم من اليمانية عكسوا بقوة مدلول هذه التسمية الفعال والحقيقي حين وقفوا رافضين إسكان ومشاركة أية مجموعة عربية جديدة والتنازل عن أراضيهم التي استولوا عليها عنوة كما حصل عند دخول السمح بن مالك الخولاني، بل توجه جماعة يمثلون هؤلاء البلديين إلى دمشق يشكون إلى الخليفة ويهددون بالانسحاب من الأندلس وإخلاتها فيما لو حاول أتباع السمح بن مالك أن يستقروا في أراضيهم (عبد الواحد ذنون، 2004 م: 240).

كما رفض هؤلاء دخول الشاميين، طالعة بلح بن بشر القشيري (123هـ / 740م) أوجد حب التسلط والتملك عند هؤلاء نوعاً من الأنانية دفعتهم إلى عدم السماح للفئات الأخرى بالمشاركة رغم حاجتهم للمساعدة وكأنهم بالفعل تملكوا أراضي الأندلس، وكانوا يقولون " أن بلدنا لا يحملنا وإياهم " شبه الجزيرة الأيبيرية كله لا يتسع لبضعة آلاف من العرب (ابن عذارى، 1965: 62).

وعندما دفعت الظروف الملحة بحركات البربر إلى السماح لهؤلاء الشاميين بالدخول وانتهت مهمتهم رفض كل واحد من هؤلاء تنفيذ مطالب الآخر فاستولى الشاميون على السلطة بالقوة، وانسياقا وراء مبدأ عصبية الموطن انضمت الفئات المختلفة من البلدين ضد الشاميين فتجاوز هؤلاء الانتماءات القبلية والعرقية لصالح المصلحة الاقتصادية المشتركة.

المبحث الأول: تأثير العصبية القبلية على الحياة السياسية بالأندلس في عصر الولاة

(92هـ- 138هـ / 712م-755م)

دخلت الأندلس حينها في صراع مرير ومؤسف استمر متواصلاً حتى مجئ أبي الخطار (125-127هـ / 742 . 744م) والذي وزع الشاميين على الأجناد المتشابهة في جوها وطبيعتها على ما كانوا عليه في مشرق الدولة فهدأت بذلك رياح التفريق والخلاف، ثم ما لبث أن انساق هو الآخر وراء عصبية اليمانية ضد المضربة، لتعود البلاد تدور من جديد في الدائرة نفسها (ابن عذارى، 1965: 63).

أسباب معركة شقندة:

طلب أهل الأندلس من صاحب إفريقية حنظلة بن صفوان عاملاً يجمع كلمتهم، إذ كانت الكلمة مفترقة، والقتل ذريعاً، ولا يأمنون تغلب العدو بالشمال عليهم؛ فأرسل إليهم أبو الخطار الكلبي، واجتمع على أبي الخطار أهل الشام وعرب البلد، ودانت له الأندلس، ثم أنه آمن ابني عبد الملك بن قطن الفهري الوالي القديم للأندلس، وأنزل أهل الشام في الكور، وتعصب لليمانية، واعتزل قبائل قيسا

المضرية؛ فكان ذلك سبب توثب الصميل بن حاتم عليه مع قيس ومضر، بعد أن ولي سنتين (ابن عذارى، 1965: 63).

أحداث المعركة:

قيل في كتاب بهجة النفس كان الصميل بن حاتم هذا جده شمر بن ذي الجوشن قاتل سيدنا الحسين بن علي وهو من أهل الكوفة؛ فلما تمكن منه المختار بن أبي عبيد الثقفي قتله، وهدم داره؛ فارتحل ولده من الكوفة، وصاروا بالجزيرة؛ ثم صاروا في جند قنسرين، فرأس الصميل بالأندلس، وفاق بالنجدة والسخاء، فاغتم أبو الخطار به وكان أبو الخطار واليًا للأندلس؛ فدخل الصميل على أبو الخطار يومًا، وعنده الجند؛ فأحب كسره فأمر عليه، فشتم ولكز فخرج الصميل مغضبًا وأتى داره ثم بعث إلى خيار قومه من القيسية؛ فشكا إليهم ما لقي؛ فقالوا: نحن تبع لك! فقال: والله ما أحب أن أعرضكم للقضاعية ولا لليمانية، ولكني سألتطف، وأدعو إلى مرج راهط وأدعو بنو لخم وجذام (قبيلة)، وتقدم رجلاً يكون له الاسم ولنا الحظ، فكتبوا إلى ثوبة بن سلامة الجذامي من أهل فلسطين؛ ثم وفدوا عليه فأجابهم، وأجابتهم لخم وجذام. فبلغ ذلك أبا الخطار فغزاهم؛ فلقية ثوبة، وأسره، وسار ثوبة حتى دخل قصر قرطبة، وأبو الخطار معه في قيوده، ثم إنه أفلت (عبدالعزیز سالم، 1985م: 70)

ثم ولي ثوبة سنتين ولما ولي ثوبة سنة 128 هـ، استجاش أبو الخطار اليمانية، ودعاهم للنصرة على المضرية؛ فاجتمع له إنذاك حفل وعسكر ضخم، وأقبل إلى قرطبة؛ فخرج ثوبة بن سلامة إلى لقائه. فافترق الناس عن أبي الخطار، ونفروا عن تلقائه. وتوفي إثر ذلك ثوبة في السنة المذكورة، فلما توفي ثوبة، عادت الحرب إلى ما كانت عليه؛ فأرادت اليم أن تعيد أبا الخطار؛ فأبى ذلك قيس ومضر مع الصميل؛ وتشاكس الفريقان. وأقامت الأندلس أربعة أشهر من غير وإل، إلا أنهم قدموا عبد الرحمن بن كثير اللخمي للنظر في الأحكام (ابن عذارى، 1965: 63).

لما تقام الأمر، وكثر الاختلاف بين أهل الأندلس، تراضوا واتفقوا على تولية يوسف بن عبد الرحمن الفهري، وعلى أن يدعو ليحيى بن حريث كورة رية؛ فتركت له طعمة. وقد كانت قضاة اجتمعت قبل ذلك، وقدموا على أنفسهم عبد الرحمن بن نعيم الكلبي؛ فجمع مائتي راجل وأربعين فارساً؛ فبيت القصر بقرطبة، وقاتل الأحرار، وهجم على السجن؛ فأخرج أبا الخطار، وهرب به إلى لبلة؛ فأقام في بنو كلب؛ فمنعوه، ولم يحدث شيئاً حتى اجتمع الناس على يوسف. فلما استقام له الأمر، غدر يحيى بن حريث، وعزله عن كورة رية؛ فغضب ابن حريث، وكاتب أبا الخطار حيناً. فقال أبو الخطار: أنا الأمير المخلوع! فأنا أقوم بالأمر! وقال ابن حريث: بل أنا أقوم به، لأن قومي أكثر من قومك! فلما رأت جذام ما يدعو إليه ابن حريث، قدموه وأجابوه؛ فأصفت يمين الأندلس بكل

قبائلها بنو حمير وكندة (قبيلة) على تقديمه والطوع له، وانحازت مضر وربيعة إلى يوسف بقرطبة. وأقبلا حتى نزلا شقندة (ابن عذارى، 1965: 63).

وكان الصميل مع يوسف الفهري، وهو الذي سأله الناس أن ينظر لهم في والٍ يلي عليهم، لشغل أمير المؤمنين مروان بن محمد بالمشرق عنهم وبعده عنهم. فاختر لهم يوسف بن عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبدة بن عقبة بن نافع الفهري؛ وكان يومئذ بالبيرة؛ فرضيه الناس كما ذكرنا. ووقع اختلاف بعد ذلك في أمره بين مضر واليمن؛ فانضوت اليمن إلى أبي الخطار، من جميع البلاد والأقطار، وزحف بهم إلى يوسف الفهري بقرطبة؛ فكره يوسف الفتنة، وخاف البغضاء والشحناء (محمد عنان، 1997م: 103)

وقد نزل الصميل بن حاتم بالمحلات، وشك السلاح والآلات؛ وأقبل أبو الخطار بمن معه، ونزل موضعه؛ فالتقت بشقندة الفئتان قيس ويمن، وتصادمت الفرقتان؛ فلا تسمع إلا صهيلا وصليلا، ولا ترى إلا قتيلًا، حتى تكسرت الخطية وتغللت المشرقية، والتفت، وانضمت الأعناق إلى الأعناق؛ فلم يعهد حرب مثلها في المسلمين، بعد حرب الجمل وصفين، إلى أن انهزمت اليمانية مع أبي الخطار بعد حين. وهرب أبو الخطار، وركب ظهر الفرار؛ واستتر في رحي للصميل هنالك؛ فظفر به وقتل إذ ذلك. فرأس الصميل بن حاتم في الناس، وشهر بالنجدة والبأس؛ وصرف يوسف الفهري إليه الأمور، وأوقف عليه الرياسة والتدبير. فكان ليوسف الاسم، وللصميل الرسم (ابن عذارى، 1965: 63).

ولما أخذ أبو الخطار، وأرادوا قتله، قال: «ليس على فوت! ولكن دونكم ابن السوداء! - يعني ابن حريث»، فدل عليه، وقتلا جميعا. وكان ابن حريث يقول: «لو أن دماء أهل الشام سقيت، لشربتها في قدح!» فلما استخرج من تحت الرحي ليقتل، قال له أبو الخطار: «يا ابن السوداء! هل بقي في قدحك شيء لم تشربه؟»، ثم قتله وأتى بالأسرى؛ فقعد لهم الصميل، وضرب أعناقهم جميعا (ابن عذارى، 1965: 65) (محمد عنان، 1997م: 106)

وولي يوسف عن رضى من عامة الجند من مضر ويمن؛ فصفت له الأندلس بعد يوم شقندة، وخلصت له القلوب والأنفس، وعاد الصميل بن حاتم قائده الأعلى، وقدحه المعلى، يقرب منه ما شاء، ويدفع عنه ما ساءه، إلى أن تمكن بالدولة (ابن عذارى، 1965: 66).

في عهد الأمير عبد الرحمن الداخل وضحت مظاهر العصبية العربية بعد أن استطاع الانتصار بمساعدة اليمانية على يوسف الفهري في موقعة المصارة سنة (138هـ/ 755م)، حيث تمكن عبد الرحمن الداخل من عبور نهر الوادي الكبير وخاض معركة قاتل فيها جيش عبد الرحمن قتالاً شديداً فانهمز يوسف والصميل بن حاتم ودخل عبد الرحمن قرطبة وتسلم مقاليد الأمور (ابن القوطية، ب).

ت، ص203) واعتبر اليمانية هذه الموقعة هزيمة للقيسية وتصوروا أن الكلمة أصبحت لهم، إلا أن القيسية قاموا بعدة ثورات بقيادة يوسف الفهري والصميل بن حاتم وأتباعهما، في محاولة منهم لاستعادة نفوذهم القديم في البلاد بالرغم من سياسة التسامح التي سلكها معهم الأمير عبد الرحمن الداخل (ابن القوطية، ب. ت: 152).

المبحث الثاني: تأثير العصبية القبلية على الحياة السياسية بالأندلس في عصر الإمارة (138-316هـ = 756-929م)

عرفت هذه الفترة بفترة الإمارة الأموية، وسميت إمارة لأنها أصبحت منفصلة عن الخلافة العباسية في بغداد، وأول من حكم خلال هذه الفترة هو عبد الرحمن الداخل، حيث كانت قرطبة وقت دخوله بيوتات من موالى بني هاشم وبني فهر وقبائل قريش وكانوا قد ظفروا بالخطوة والسلطان أيام حكم يوسف الفهري فلما تولى إمارة الأندلس الأمير عبد الرحمن فقدوا كل ما كانوا يتمتعون به من نفوذ فأخذوا يحرضون، يوسف الفهري على خلع طاعة الأمير عبد الرحمن ووعده بالنصر والتأييد عن خلع يوسف الفهري لطاعة الأمير عبد الرحمن وتأييد الموالين ليوسف الفهري وموقف الأمير عبد الرحمن من هؤلاء المتمردين (ابن القوطية: 51-52)(محمد عبد الله عنان، 1997م: 154-158).

وفي سنة (141هـ/ 807م) فر يوسف الفهري إلى ماردة حيث اجتمع له جيش كان معظمه من البربر فاتجه صوب أشبيلية تمهيداً لغزو قرطبة فخرج عبد الرحمن الداخل لملاحقته بعد أن تمكن من اعتقال الصميل بن حاتم وانتهى الصراع بهزيمة يوسف وفراره إلى طليطلة بعد أن اغتاله بعض أصحابه وقتلوه وأجتر رأسه، ولما علم الأمير عبد الرحمن شكر الله على موته وأمر بنصب رأسه على جسر قرطبة... وتوفي الصميل في محبسه وقيل إنه خنق (ابن عذاري، ج 2: 49) واندلعت ثورة أخرى قام بها والي الجزيرة الخضراء رزق بن النعمان الغساني، وانتهت بمقتله (محمد عبد الله عنان، 1997: 154-158).

ولقد ظن اليمانيون أن تأييدهم للأمير عبد الرحمن قد يبعث لهم مجدهم القديم وامتيازاتهم التي فقدوها، فلما خاب ظنهم، وقفوا في وجهه وناوؤه وراحوا يؤيدون أعداءه الواحد بعد الآخر، فعندما قام العلاء بن مغيث اليحصبي سنة (143هـ/ 763م) بالدعوة لبنى العباس ورفع الراية السوداء وأعلن أنه عين أميراً على الأندلس من قبل الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور تبعه خلق كثير من أهل الأندلس الذين تطلعوا لخلع عبد الرحمن الداخل، وعلى الأخص جماعات اليمانية التي عقدت العزم على التخلص منه بعد أن حال بينهم وبين أعمال القرصنة عقب هزيمة يوسف الفهري، وقد انتهز العلاء بن مغيث الإضرابات التي اجتاحت الأندلس وفجر ثورته في باجة وأنضم المنتزون إليه وهرعت القبائل والأحزاب المختلفة إلى الانطواء تحت لوائه ولا سيما اليمانية وجند مصر واستقل أمر العلاء

وكثر جمعه، فخرج عبد الرحمن من قرطبة في جمع من قواته وسار عبد الرحمن إلى قرمونة لمحاربته ولكن العلاء انتصر عليه في مدينة قرمونة وأمام هذا الخطر جمع عبد الرحمن جنوده وأشعل ناراً عظيمة مخترقاً الحصار بهجوم خاطف ثم انقض على الجيش المحاصر وداهم العلاء في صفوة جنده ونشبت بين الفريقين معارك شديدة، وهزم فيها العلاء وتفرقت قواته بعد أن قتل منهم نحو سبعة آلاف، وكان العلاء نفسه بين القتلى (ابن عذارى، 1965م: ص52).

وثار في طليطلة هشام بن عروة الفهري فقام عبد الرحمن الداخل بتوجيه حملة بقيادة تمام بن علقمة عام (147هـ/ 764م) لمحاصرة طليطلة ولما ضاق الحصار على أهل طليطلة اضطروا إلى طلب الأمان والصلح نظير تسليمهما الثائرين، فقبضوا على هشام وأتباعه وقاموا بتسليمهم إلى تمام بن علقمة، فأخذوا إلى قرطبة مقيدتين، معذبين محلقيين الرؤوس وطيف بهم في شوارع قرطبة، ثم أمر الأمير عبد الرحمن بقتلهم وصلبهم (ابن الأثير، 1987: 25).

هذا وقد أشعل اليمانية نار الثورة مرة أخرى في أوائل سنة (149هـ/ 766م) حيث خرج سعيد اليحصبي (1) بمدينة لبلة وانتهى الأمر بمقتله، مما أدى إلى اشتعال ثورة أخرى لليمنيين بقيادة الغافر اليحصبي (2)، وحيوة بن ملامس الحضرمي (3)، وعمر بن طالوت (4) وهم من زعماء الأندلس في غرب الأندلس وهم أيضاً أبناء عمومة أبي الصباح يحيى اليحصبي (5) كما انضم إليهم

(1) سعيد اليحصبي: هو المعروف بالمطرى من زعماء اليمانية الذين ثاروا على الأمير عبد الرحمن الداخل (ابن الأبار، الحلة السيرة، ص246)

(2) الغافر اليحصبي: هو عبد الله الغافر اليماني زعيم اليمانية وكان قد تزعم الثورة في أشبيلية واستولى عبد الغافر على ما جاور قرطبة من النحاء، كما كثرت جموعه من البربر وأصبح يهدد قرطبة فخرج عبد الرحمن لقتاله والتقى بوادى قيس على مقربة من قرطبة، فاستمال عبد الرحمن حلفاء عبد الغافر ودار عليه الدوائر ففر إلى لقتن وطارد عبد الرحمن أتباعه حتى قتل منهم ألفاً عديدة وذلك سنة (114هـ/ 761م)؛ (ابن القوطية، ص52)

(3) حيوة بن ملامس الحضرمي: رفع لواء الثورة بعد الثائر عبد الغافر اليماني في أشبيلية وهو من كبار زعماء اليمانية أيضاً وقد تغلب على أشبيلية واستحج وكثير من نواحي الغرب، وكان حيوة بن ملامس من أصدقاء الأمير عبد الرحمن وكان يحظى لديه بمنزلة كبيرة ولكنه غدا بعد ذلك من ألد أعدائه وخصومه ورفع لواء الثورة في تلك الأنحاء وأستفحل أمره، فسار إليه عبد الرحمن ونشبت بينهما معارك عنيفة؛ (ابن عذارى، ص51)

(4) عمر بن طالوت: هو من زعماء اليمانية أيضاً وكان قد ثار في باجة وهو ابن عمر أبي الصباح الثائر على الأمير عبد الرحمن الداخل؛ (ابن القوطية، ص52، 53)

(5) أبي الصباح يحيى اليحصبي: هو صديق الأمير عبد الرحمن وحليفه وكان أبو الصباح زعيم اليمانية في أشبيلية يوم قدوم عبد الرحمن إلى الأندلس، وكان في طليعة من هرعوا يومئذ لتأييده ونصرته، وقاتل يوم المساواة وكان من أكابر الأمير عبد الرحمن كان يخشاه ويتوجس منه، لحديث نقل عنه يوم المساواة بوجوب التخلص من عبد الرحمن ورد الأمر إلى اليمانية وكان عبد الرحمن قد ولاه أشبيلية ثم عزله عنها لما ظهر من عجزه في القضاء على الفتن فيها؛ (ابن عذارى، ص53، 54)؛ (محمد عبد الله عنان، ص164)

كثير من البربر الناقمين على سياسة عبد الرحمن الداخل للقضاء على هذه الثورة، مستخدماً أسلوب التفريق بين البربر واليمنيين، مستعيناً بمواليه من البربر وأقنعهم بالتخلي عن زعماء الثورة في مقابل منحهم العطايا وضمهم إلى الديوان، وقد نجحت خطة التفريق، إذ تخلى البربر عن اليمنيين أثناء المعركة، فحلت الهزيمة بهم، وقتل معظم قادتهم سنة (157هـ/ 774م) (محمد عبد الله عنان، 1997م: 166).

ومن أخطر الحركات التي تعرض لها عبد الرحمن الداخل كانت حركة اليمانية سنة (158هـ/ 775م) التي اشترك فيها عبد الرحمن بن حبيب الفهري الصقلي (1) وسليمان بن يقظان الأعرابي الكلبي والي برشلونة، والحسين بن يحيى الأنصاري (2) والي سرقسطة، بالتعاون مع شارلمان بالاتفاق مع الخليفة العباسي المهدي، وبالرغم من فشل هذه الحركة والقضاء عليها إلا أننا نستخلص أن النزعات القبلية وضعوا مبدأ خطيراً في الأندلس وهو مبدأ الاستعانة بالنصارى لمساعدتهم ضد حكومة قرطبة الأمر الذي فتح الباب أمام الفرنجة للتدخل في أمور الأندلس وتقوية أمر نصارى الشمال، وكل هذا أدى في النهاية إلى انهيار دولة الإسلام في الأندلس (عصام عبد الرؤوف، 1984: 69).

كما خرج أبو الأسود محمد بن يوسف الفهري عام (168هـ/ 784م) وأعلن الثورة واحتشدت حوله جموع كبيره من الساخطين على عبد الرحمن بن معاوية معظمهم من القيسية والفهرية ودارت بينهم عدة معارك انتهت بهزيمة أبو الأسود وفراره إلى قرية ركانة وظل بها حتى توفي سنة (170هـ/ 768م)، فخلفه على زعامة الثورة الفهرية أخوه أبو القاسم بن يوسف وأقترن بزوجته، وعاد ينظم الثورة من جديد فغزاه عبد الرحمن في سنة (171هـ/ 787م)، فلما اقترب من طليطلة خرج إليه القاسم وطلب منه الأمان، فتقبله عبد الرحمن وصحبه معه إلى قرطبة ورد إليه بعض أموال أسرته، ويذكر ابن الأثير أن الأمير عبد الرحمن لم يبق على أبي القاسم بل قتله (ابن خلدون، 1987م: 269).

وفي عهد الأمير هشام بن عبد الرحمن (139 هـ- 180هـ) أطلت اليمانية برأسها مرة أخرى حيث اعتقدوا أن الفرصة قد سنحت لهم بوفاة الأمير عبد الرحمن الداخل لإضرام نار الثورة مرة أخرى،

(1) عبد الرحمن بن حبيب الفهري الصقلي: هو أحد أصهار يوسف الفهري وسمى بالصقلي "لأنه كان طويل أشقر أزرق أضر" وأطلق عليه عبد الرحمن بن حبيب المتغلب على إفريقية منذ (140هـ/ 757م) بعد أن خرج على طاعة بن العباس؛ مؤلف مجهول: أخبار مجموعة. ص101؛ ابن عذاري: البيان المغرب. ج 2. ص55

(2) الحسين بن يحيى الأنصاري: هو كان من نازل سرقسطة وهو من ولد سعد بن عبادة وكان كالشريك لسليمان بن يقظان، فخطب من قرطبة يؤمر باغتيال سليمان على أن يتولى سرقسطة، ففعل ووصل الإمام عبد الرحمن الداخل سرقسطة وقد ملكها حسين بن يحيى الأنصاري ف سجل له عليها وأخذ ولده رهينة وذلك سنة (165هـ/ 781م)؛ العزري (أبو العباس أحمد بن عمر بن أنس المعروف بالدلائي / ت 478 . 988م): نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك . تحقيق: عبد العزيز الاهواني . مدريد . 1965 م . ص26

فخرج بطرطوشة سعيد بن الحسين ابن يحيى الأنصاري وكان قد التجأ منذ مصرع أبيه، والتف حوله اليمانية وأخرجوا عامل الأمير هشام، يوسف العبسي، وتمكن بمساعدة ثوار اليمانية من الاستيلاء على طرطوشة وكان يحكم الثغر الأعلى موسى بن فرتون (1) القومس وهو ينتمي بالولاء إلى المضرية، كما أنه كان من المؤيدين للأمير هشام الرضا فجمع حوله المضرية والتقى باليمانية في معركة انتهت بانتصاره عليهم ومقتل زعيمهم سعيد بن الحسين بن يحيى واستولى موسى بن فرتون على سرقسطة سنة (172هـ/788م)، غير أن أحد موالى الحسين بن يحيى الأنصاري ويدعى حجير فجاءه بجمع غفير ودارت بينهما معركة انتهت بمقتل موسى بن فرتون (كمال السيد أبو مصطفى، 1997: 49).

وعلى الرغم من الانتصارات التي أحرزتها المضرية ضد اليمانية إلا أن اليمانية ظلت تتأوى الوجود الأموي ممثلاً في المضرية فقد انتهز مطروح بن سليمان الأعرابي وكان ثائراً ببرشلونة فرصة تلك الاضطرابات التي سادت منطقة الثغر الأعلى، وانشغال الأمير هشام بالحرب مع أخويه سليمان وعبد الله وتقدم إلى سرقسطة واستولى عليها، كما بسط سلطانه على وشقة والثغر الأعلى كله واستمر الوضع على هذا النحو من الفوضى والاضطرابات إلى أن تم عقد الصلح بين هشام وأخويه، فتفرغ للقضاء على الفتنة والثورات الداخلية ومنها ثورة مطروح هذه فسير إليه هشام جيشاً بقيادة عبيد الله بن عثمان (2) سنة (175هـ/791م) لمحاربته وانتهى الأمر بمقتله على يد اثنين من أعوانه المولدين (ابن عذارى: ب. ت: 63).

وفي عصر الأمير عبد الرحمن الأوسط قامت من جديد فتنة في تدمير سنة (207هـ/823م) بين المضرية واليمانية دامت سبع سنين فاضطربت الفتنة من جديد وكان سبب هذه الفتنة أن أحد المضرية انتزع ورقة دانية من جنان يمانى، فقتله اليماني، فقامت الحرب بين العصبية المضرية واليمانية وازداد الأمر سوءاً بعد أن تغلب زعيم اليمانية الثائر أبي الشماخ محمد بن إبراهيم على تدمير واضطر الأمير عبد الرحمن أن يتدخل، فأغزى إلى الفريقين المتقاتلين سنة (207هـ/832م)

(1) موسى بن فرتون: ينتمي إلى أصول قوطية مسيحية، وكانت أسرته تتمتع بنفوذ وامتيازات قديمة منذ أيام الحكم القوطي في أسبانيا، في عهد القوط ومن هنا كانوا يتطلعون دائماً إلى الحفاظ على نفوذهم وحقوقهم وامتيازاتهم القديمة والعمل على تنميتها ودعمها كلما سنحت الفرصة لذلك وخاصة عند ضعف الحكومة المركزية، وتذكر المصادر أن موسى كان يتولى حكم برجة بالثغر الأعلى. من أعمال سرقسطة، كما توجد علاقة تربط بنى قسى وبين بنى ونقة وارتبطوا أيضاً بالمصاهرة (ابن حزم: ص502).

(2) عبيد الله بن عثمان: لعب دور رئيسي في تأسيس الإمارة الأموية في الأندلس وهو نصير الأمير عبد الرحمن بن معاوية يوم المصارة وقد كوفئ على خدماته في نصرة الدولة الأموية بحكم ولاية الثغر الأعلى في مدينة طرسونة فقد أثرها على مدن الثغر الأعلى كله وكانت ترد عليه عشر مدينة أربونة وبرشلونة ولذلك عرف بصاحب الأرض؛ (الحميري: 169).

القائد يحيى بن عبد الله بن خلف فالتقى معهم في موقعة عرفت بموقعة المصارة قتل منهم نحو 3 آلاف وفي سنة (209هـ/ 825م) أرسل قائدة أمية بن معاوية بن هشام إلى تدمير فاشتبك مع قائدهم أبي الشماخ فقضي على عدد كبير منهم، وبذلك هدأت الفتنة سنة (213هـ/ 827م)⁽¹⁾ وخضع أبو الشماخ وغيره من الزعماء وطلبوا الأمان وعادوا إلى الطاعة (العذري، ب. ط: 5)

الخاتمة:

لقد عانى النظام السياسي في الأندلس، مشاكل متعددة وخطيرة في الوقت ذاته، وكانت هذه المشاكل قد وجدت معه منذ أولى لحظات قيام الدولة العربية الإسلامية في الأندلس وحمل النظام بذور النزاع على السلطة بمرونته وعدم التزامه بقواعد ثابتة وصاحب أحلام الاستئثار بالسلطة الاستبداد من خلال ارتباطه الأساسي والقوي بشخص الحاكم الذي يتولى قيادته وتعلقت بهذا النظام مسألة خطيرة هي العصبية القبلية بين اليمانية والقيسية.

فقد باتت العصبية بين القيسية واليمانية هي المسيطرة على الأوضاع السياسية، وفي النهاية نستنتج أن استقرار الحياة السياسية لم يتحقق إلا بعد مصاهرة الجنس العربي مع أهل البلاد الأصليين حيث أنصهر الجنس العربي داخل المجتمع الأندلسي، وكان نتاج هذا الزواج المختلط ظهور جيل جديد وهم المولدون.

كما يتضح من الدراسة الصراع القيسي اليمني محاولة الكشف عن أسباب سقوط الأندلس بعد أن استمر الإسلام بها مدة ثمانية قرون، لعل في الدراسة سمات العصبية القبلية ما يوضح لنا بعض الأسباب الخفية التي أدت إلى ضياع الأندلس وتشرذم أمته.

وبذلك لم يقتصر النزاع العربي على الجانب القبلي إنما تعداه ليظهر من أجل السيطرة على الأرض والاستئثار بخيراتها وكل ذلك كان لها تأثير سلبي على استقرار الأوضاع السياسية.

(1) عمدة الأمير عبد الرحمن الأوسط بعد انتهاء الثورة إلى هدم المدينة حاضرة كورة تدمير والتي اندلعت منها الفتنة وأمر ببناء مدينة مرسية على يد جابر بن مالك لبيد عامل تدمير يومئذ ولم تلبث مرسية بعد ذلك أن صارت قاعدة لكورة تدمير ثم سميت الكورة كلها باسمها (ابن الأبار: 63).

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر العربية

- 1- ابن الآبار أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي، الحلة السيرة، القاهرة: دار المعارف، 1985م.
- 2- ابن الأثير عز الدين علي بن أبي الكرم محمد الجزري. اللباب في تهذيب الأنساب. بيروت: دار صادر، 1980م.
- 3- ابن حزم أبو محمد علي بن محمد بن سعيد، جمهرة أنساب العرب، القاهرة: دار المعارف، 1962م.
- 4- ابن حيان، أبو مروان بن حيان القرطبي، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، بيروت، 1965م.
- 5- ابن خلدون، ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي. كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1987م.
- 6- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، بيروت، دار الثقافة
- 7- الحميدي (أبو عبد الله، محمد بن فتوح بن عبد الله. جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس. مكتب نشر الثقافة الإسلامية. القاهرة 1952م.
- 8- الذهبي، شمس الدين بن عبد الله. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. تحقيق: عمر عبد السلام تدمري. لبنان. دار الكتاب العربي. 1987 م، سير أعلام النبلاء. تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد نعيم العرقسوسي. بيروت. مؤسسة الرسالة. الطبعة التاسعة، 1992م.
- 9- السلاوي، أبو العباس أحمد بن خالد السلاوي الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري، ومحمد الناصري، المغرب، مطبعة الدار البيضاء، 1977م.
- 10- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. تاريخ الرسل والملوك. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعارف. القاهرة، (د. ت)
- 11- ابن عذاري، أحمد بن محمد أبو عبد الله محمد المراكشي. البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب. المكتبة الأندلسية. بيروت، (د. ت)

12- ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي. شذرات الذهب في أخبار من ذهب. دمشق. دار ابن كثير، 1985م.

13- ابن الفريزي أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي، تاريخ علماء الأندلس، بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1983م.

14- ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر. تاريخ افتتاح الأندلس. دار النشر للجامعيين، (د. ت).

15- ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي. البداية والنهاية، بيروت، مكتبة المعارف، (د. ت)

16- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي معجم الأديباء. تحقيق: أحمد فريد الرفاعي. القاهرة. مكتبة عيسى البابي الحلبي، 1936م.

ثانياً: المراجع العربية الحديثة:

1- أحمد مختار العبادي: تاريخ المغرب والأندلس. مصر. دار المعارف. (د. ت).

2- بوزياني الدراجي، العصبية القبلية ظاهرة اجتماعية وتاريخية (على ضوء الفكر الخلدوني)، تونس، دار الكتاب العربي، 2014م.

3- حسن مراد: تاريخ العرب في الأندلس. القاهرة، طرابلس، لندن. دار الفرجاني. 1984م.

4- خير الدين الزركلي: الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين. الطبعة السادسة. 1984م.

5- خالد بن عبد الرحمن الجريسي، العصبية القبلية من المنظور الإسلامي، مؤسسة جريسي، الرياض، ط1، 2006م.

6- السيد عبد العزيز سالم: الحياة العلمية والأدبية في الأندلس، كتاب تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، 1985م.

7- محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس. مكتبة الخانجي، القاهرة: الطبعة الرابعة، 1997م.

8- محمد يسري دعبس: الثقافة والشخصية (دراسات في الانتروبولوجيا السيكلوجية)، دار النهضة العربية، 1997م.